عفو جميل

يَحكون أن فقيهًا كان يمشي في إحدى الطرق، وإذا بلصٍّ يمدّ يده، ويخطف عمامته التي كانت على رأسه، ثم يُطلق ساقيه للريح، فما كان من الفقيه إلا أن أخذ يجري خلف اللص، وهو يقول: وَهَبتُك إياها، قل: قَبِلت، وهبتُك، قل: قبلتُ.

لقد شعر الفقيه بأنه من المؤكد أن الحاجة المُلحّة هي التي دفعت ذلك الرجل إلى أن يرتكب جناية من أجل الحصول على شيء، لا يكاد يساوي خمسة دراهم، فَرقّ قلبه له، وأحب أن يُعلمه أن له أن يمضي بالعمامة على أنها هدية أو هبة؛ حتى يشعر براحة الضمير وهدوء الخاطر.

عبرة: نحن اليوم في حاجة ماسّة إلى طريقة تفكير ذلك الفقيه، وإلى رِقّة قلبه ونبل عواطفه، حيث إن كثيرًا من الأخطاء والتجاوزات التي تقع هنا وهناك لا تصدر في الغالب من أشخاص شرّيرين أو عدوانيين، إنها تصدر من أشخاص يمرون بظروف حرجة، وقاهرة تجعلهم يخضعون لضغوطها، فيفقدون رشدهم وصوابهم، وتصدر من أشخاص يمرون بلحظات ضعف أمام مغريات قوية، وأشخاص أساؤوا الفهم، فساء سلوكهم، وساءت مواقفهم، وهكذا فإن المعرفة الكاملة

صفـح كامل. مـن السهـل أن نتهـم، وأن نسيء الظـن، وأن نعاتـب، ونعاقـب، لكن من الصعب أن نتفهـم دوافع السلوك السيِّـئ والموقف الرديء، ومن الصعب أن نعذر، وأن نصفح، ونواسي، إن هذه الأمور تحتاج إلى شفافية ورقّة وإبداع.

مـا أجمـل، أن نعقد العزم على أن نقبـس من روح ذلك الفقيـه وكـرم ذاته، حتـى نرسِّـخ في أعماقنا معـاني العفو والتسامح والشفقة، إننا حين نقع في خطأ كبير نبحث بجدّية ومثابـرة عن أولئـك الذين يلتمسون لنا الأعـذار، ويتفهمون تداعيـات أخطائنا، ما يوجب علينا أن نفعل ما كنا نرجو من الناس أن يفعلوه، وينهضوا إليه.